هو العليم

أفضليّة مقام الإنسان في نظام الوجود

عظمة مقام الإنسان الكامل

جلسات النساء –طهران– الجلسة الخامسة

محاضرة القاها

آية الله الحاج السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهراني

قدّس الله سره.

@MadrastAlwahy

أعوذ باللَه من الشيطان الرجيم

بسم اللَه الرحمن الرحيم

وصلّى اللَه على سيّدنا و نبيّنا وحبيب قلوبنا

وطبيب نفوسنا أبي القاسم محمّد

اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمد

وعلى آله الطيبين الطّاهرين لا سيّما بقية الله في الأرضين

الحجّة بن الحسن المهدي أرواحنا لتراب مقدمه الفداء

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

تفسير آية خلقنا الإنسان في أحسن تقويم

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[1] أي: إنَّنا خلقنا الإنسان وفقًا لأفضل نظام وأجمل شكل وبناء، ثمّ أعدناه إلى أدنى مراتب النزول في عالم الكثرة، عدا أولئك منهم الذين نالوا درجة الإيمان، وجاؤوا بالأعمال الصالحة.

علينا أن نعرف أوّلًا، لماذا خلق اللَه الإنسان وفقًا لأفضل نظام؛ ذلك النظام الذي لم يخلق وحتى ذلك الوقت أحدًا مثله؟ وثانيًا: ما هو السبب الذي دعا اللَه لينزله إلى أسفل السافلين؛

[1] سورة التين (٩٥)، الآيات ٤ إلى ٦.

الذي هو عالم الطبع والمادة وعالم الدنيا؟ فما هو السّر الكامن وراء أصل الخلق ووراء التنزيل إلى أسفل السافلين الذي حصل بعده؟

ما معنى أحسن تقويم ولماذا خلق الله الإنسان فيه؟

إنَّ وجود اللَه تعالى هو الوجود الأكمل؛ بمعنى أن لا سبيل لأيّة ناحية من نواحي النقص والاستعداد والانتظار والتهيّؤ لأن تجد لها طريقًا إلى هذا الوجود؛ فهو في غنىً تامٍّ وفعليّة تامّةٍ، ولا حاجة له إلى أحد في سبيل الوصول إلى الكمال؛ ولا وجود لأيّة جهة نقصٍ فيه لكي يصل إلى الكمال برفعها. إنَّ لهذا الوجود الذي يتمتع بمثل هذه الصفات بروزاً وظهوراً من ذات نفسه؛ يتمثّل أحد أشكال هذا البروز والظهور في وجود الملائكة، ويتمثّل بروزٌ وظهورٌ آخر له بعالم العقول، وبالجنّ وعالم المادة الذي هو عالم الكون والفساد، وبالحيوانات؛ فجميعُ هذه الأشياء هي عبارة عن بروز وظهور الوجود الكامل للَه، غير أنَّنا لا نرى اللَه تعالى قد قال عن أيٍّ منها [ما قاله عن الإنسان، فلم يقل عن الملائكة:] إنَّا خلقنا الملائكة في أحسن تقويم، نعم لا توجد مثل هكذا آية في القرآن، فلم تنزل مثلها حتّى بحق جبرائيل أو ميكائيل أو عزرائيل؛ فلا وجود لآية تقول: لقد خلقنا جبرائيل في أحسن تقويم؛ الأمر الذي يستطيع اللَه أن يفعله، ولديه القدرة على إيجاد مثل ذلك الخلق. كما ولم يرد مثل هذا الشيء بشأن خلق السموات والأرض والكواكب وهذا العالِم الذي لا نهاية له، والذي لم يصلوا إلى نهايته، ولا يمكن لهم ذلك، فلم يحصل أن يكون اللَه قد قال: لقد خلقت السموات والأرض بأحسن ما أستطيع وبقدرتي القاهرة وقوّتي الأزلية، أمّا بالنسبة إلى الإنسان فقد جاء في حقّه مثل هذا الشيء، كما وجاء في رواية وحديثٍ قدسيّ مثل هذا الشيء بعبارة مختلفة حيث قال اللَه: «**لَا يسَعُنِي أَرْضِي وَلا سَمائِي وَلكِن يسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ بِي**»، فليس لها السعة على تحمّل مثل هذا التجلّي؛ إذ إنَّ للسماء والأرض سعةً محدودة.

ثلاثة أمثلة توضّح قدرة الإنسان التي تفوق سائر المخلوقات:

المثال الأوّل: البالون

إنَّ للبالونات سعاتٍ متفاوتة؛ فما أن تنفخ في إحداها بعض الشيء حتّى تنفجر؛ وذلك لكونها محدودةً وضعيفةً، ويوجد منها ما يكون أقوى من الأولى؛ فهي تصل إلى حجم أكبر، ومع هذا فلها حدّ محدود، وهناك من البالونات ما له القابليّة على أن تحمل رجلًا بوزن مائة أو مائة وعشرين كيلوغرامًا، ولا يحصل لها شيء؛ وذلك لكونها قويّة، وهي مصنوعة من نوع سميك من البلاستك، وتكون مرونتها وقابليتها للتمدّد عالية، فلا يحصل لها شيء.

ما هذه السعة التي لدى الإنسان والتي جعلت اللَه يقول عنه بأنَّ قلبَ عبدي المؤمن بي يستطيع أن يسعني دون الأرضِ ولا السماءِ ولا النجوم ولا الكواكب السيّارة، فليس لها مثل هذه السعة؟ ما هو السبب الكامن وراء ذلك؟ إنَّ السبب في ذلك يعود لكون الإنسان ومن بين جميع هذه الموجودات هو الوحيد الذي له القابليّة على إبراز وإظهار كافّة الصفات الجماليّة والجلاليّة للحقّ؛ أي: إنَّ اللَه قد خلق الإنسان بشكلٍ وجعله في مرتبة ـ وبحسب العبارة المصطلح عليها ـ أظهر اللَه مهارته في هذا الخلق وبالطريقة التي يستطيع من خلالها أن يصل إلى تلك الحقيقة المطلقة التي هي وجود اللَه نفسه، فليس لبقيّة الموجودات تلك المرتبة الإطلاقيّة، بل مرتبتهم محدودة بحدٍّ ومقيّدة بقيدٍ، أمّا الإنسان فهو يستطيع أن يعبر هذا القيد، ويستطيع أن يصل إلى المرتبة غير المحدودة وهي المرتبة الإطلاقيّة؛ فحتّى جبرائيل الذي هو ملَك العلم، والمُكلّف بإفاضة العلم على كافة الموجودات بما فيها الأنبياء، فلجبرائيل حدّ وجودي، ولو أنَّ اللَه نفخ فيه بما يتجاوز حدّه، لما تحمّل ذلك ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً﴾[1] إنَّ تجلّي اللَه للجبل يعني أنه عندما وجّه اللَه جزءاً من قهّاريّته وجلاله إلى هذه المادة التي هي عبارة عن الجبل، ولمّا كانت المادة محدودة بحدّ خاص، لم تستطع تحمّل هذا الضغط الصادر عن تلك الجهة المعنويّة، فتفتّت الصخور وتطايرت.

[1] سورة الأعراف (٧)، جزء من الآية ١٤٣.

المثال الثاني: الإنسان القويّ

خذوا على سبيل المثال البعض من الناس من أولئك الذين يمتلكون نفسًا قويّة، عندما ينظر أحدهم إلى حجرٍ، فهو يستطيع أن يقسمه إلى نصفين، وعندما ينظر إلى زجاج يكسره؛ وذلك لامتلاكه نفسًا قويّةً.عندما توجّه اللّه إلى الجبل، لم يستطع الجبل تحمّل ذلك، وخرّ موسى مغشيّاً عليه.استطاع موسى أن يصمد، فلم يتقطّع بدنه ولم يمت غير أنَّه سقط مغشيّاً عليه.لقد تلاشى الجبل ومات السبعون شخصًا الذين كانوا مع موسى جميعاً، أمّا موسى فلكونه كان قويّاً وكان يمتلك سعة وجوديّة، فكان المقدار الذي تأثر به من جرّاء ذلك هو أنَّه قد غُشي عليه، ويرجع سبب ذلك إلى كون موسى قد عمل على تزكية نفسه، واكتسبت نفسه الاستعداد لتحمّل مثل تلك الحالات الروحيّة التي تنزل عليه؛ فلم يخرج من الميدان.

أرأيتم كيف أنَّ البعض وعندما يسمع خبرًا مفاجئًا، أرأيتم كيف يتغيّر حاله؟ فيأخذ بلعن الأرض والزمان.نعم، عندما يصلُ خبرٌ إلى أحدهم، فتراه وكأنّه قد نسي كلّ شيء، أمّا البعض الآخر، فلهم القابليّة على التحمّل؛ فيصبرون ويتحمّلون ما ينزل عليهم، فتراهم هادئين مهما كانت المصيبة النازلة عليهم كبيرة، إنَّ لمثل هؤلاء الناس، سعة وجوديّة.وهكذا كان الأمر في تجلّي اللّه للجبل في قضيّة النبيّ موسى، فقد كان من هذا القبيل، وحتّى جبرائيل لا يستطيع التحمّل لأنَّ له سعةً محدودة.

المثال الثالث: الملح والكالسيوم في الماء

سأضرب لكم مثالًا على ذلك، فلو قمتم بإذابة مقدارٍ من الملح الصلب في الماء، فسترون كيف تصغر قطعة الملح شيئًا فشيئًا؛ فتذوب في الماء وتتحوّل إلى سائل، غير أنَّ مقدارًا منها لا يذوب مهما قمتم بتحريك الماء، لماذا لا يذوب هذا المقدار؟ ذلك يعود لاختلاف المادّة المتبقية عن طبيعة المادة التي ذابت في الماء؛ فالملح يتركب من مواد من قبيل الصوديوم والبوتاسيوم واليود.فما هو تركيب تلك المادة التي لم تذب؟ إنَّها من الكالسيوم؛ فالكالسيوم لا يذوب في الماء

ومهما عملت على تحريك الماء، وكذلك الأمر مع مادة الفسفور؛ فهي لا تذوب في الماء كذلك، فليس لهذه المواد القابليّةُ على الذوبان في الماء، أمّا بالنسبة إلى الملح، فله مثل هذه القابلية.

إنَّ جبرائيل وبقيّة ملائكة اللَه المقرّبين الذين يحتلّون أعلى مرتبةً من مراتب الخلق بعد الإنسان، هم رغم هذا محدودون بحدٍّ لا يسمح لهم بالفناء في ذات اللَه. فهل عرفتم الآن لماذا لا يستطيعون الفناء؟ إنَّ طبيعة خلق جبرائيل وملائكة اللَه المقرّبين هي بحيث يتمتّعون فيه بقابلية وقدرة محدودة، فلا يمكنهم أن يصلوا إلى ذلك الحدّ. أمّا فيما يتعلّق بالوجود المبارك للنبيّ الأكرم والأئمة والأولياء والسائرين على نفس هذا النهج وهذا الطريق؛ فهم ذوو طبيعة يمكنهم فيها السير وذلك بواسطة العبادة والمراقبة والذكر والتفكّر والعمل الصالح. فيمكن أن تعمل هذه الأمور على تبديل الظرف الوجوديّ والنفساني لهم؛ فيحصل لهم تغيّر وتبدّل مستمر حتّى يصلوا إلى الدرجة التي تجعلهم يمتلكون القابليّة على عبور الحدود والقيود وعلى الاندكاك في ذات اللَه. فهذا الأمر مختصٌّ بالإنسان وحده.

اتّضح لنا من هذا ما هو معنى الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ إنَّ هذا يعني أنَّ اللَه لو أراد أن يخلق خلقًا، ويبذل قصارى جهده في خلقه، فأيّ خلق سيكون هذا؟ لا بدَّ وأن يكون هذا الخلق الذي يخلقه مثلَه تعالى، أليس كذلك؟ نعم، هكذا هو الأمر. إنَّ كلمة مثله لا تعني بأنَّ هذا الخلق سيكون بنفس سعته عزّوجلّ، بل سيخلق مخلوقًا لا يوجد أيّ ميز وتفاوتٍ وبُعد بينه وبين هذا المخلوق من ناحية قربه له. أمّا فيما يتعلّق ببقيّة المخلوقات، فهناك بُعدٌ بينها وبين اللَه؛ فلعالم الملائكة، وعالم الأرواح وعالم الشياطين، وعالم الجنّ والحيوانات، لجميعها بُعدٌ عن اللَه؛ فهي محدودة بحدود ومقيدة بقيود.

إنَّ الإنسان وحده هو الذي يستطيع أن لا يكون ذا بُعد وفاصلة مرحلية ورتبيّة بينه وبين اللَه، وهذا هو معنى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، فهل عرفنا الآن المرتبة التي حزنا عليها؟! هذا فيما يتعلّق بخلقنا؛ فيقول اللَه: لقد أعملت فيك أيّها البشر قدرتي الخالقية. إنَّ هذا ما يخصّ جانب القضية هذه.

لماذا أنزل الله الإنسان إلى أسفل سافلين؟

﴿ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ﴾ أي: لقد جلبنا هذا الإنسان إلى عالم الدنيا وعالم المادة، وجعلناه يسير في كافّة المراتب الوجودية والمراتب النازلة.لماذا؟ لكي يكون لدى الإنسان كافة مظاهري الوجودية؛ ابتداءً من التجرّد المحض وإلى المرتبة الأخيرة منه، والتي هي مرتبة الملك والمادة والصورة والأجسام والكون والفساد؛ ولا ينقصه منها مرتبةٌ من المراتب، فيحوز بهذا الشكل على مظهريّة الأسماء والصفات بأكملها.

لا تستطيع الملائكة أن تكون على هيئة جسم، ولا يمكن لها أن تتشكّل بالصورة الوجودية التي تمتلك أغراضاً نفسيةً وأهواءً ،وتتمتّع بخصائصَ حيوانية؛ وذلك لكون وجودها وجودًا خاص، أمّا الإنسان، فهو يمتلك جميع هذه الأشياء، ولهذا السبب تصبح قدرته أعلى من قدرة الملائكة.إنَّ الإنسان قد وصل إلى أسفل السافلين التي هي آخر مرتبة من مراتب النزول، أي: لقد أنزلناه من الأعلى؛ فجعلناه يعبر مراتب اللاهوت إلى الجبروت ثم الملكوت الأعلى، ثمّ أنزلناه أكثر حتّى أوصلناه إلى الملكوت الأسفل وعالم البرزخ والمثال وحتى وصل إلى عالم المادة والصورة هذا؛ فهذا هو عالم المادة والصورة إذن.لقد جعلناه يسير في كافة هذه المراتب، ويراها.

فماذا بعد ذلك؟ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إنَّه وعند تنقّله في هذه العوالم وحتى وصوله إلى هذا المكان، فنحن قد فعلنا به التالي: لقد وضعناه في عالم الجبروت واللاهوت والملكوت؛ فوضعناه في كافّة المراتب إلى أن وصل إلى عالم المادة.إنَّ ما وضعناه فيه هو عبارة عن القوة والقابليّة للوصول إلى هذه العوالم، والأعلى من ذلك هو أنَّا قد جعلنا فيه قابليّة الوصول إلى الذات وهو الأمر الخاصّ بالإنسان وحده.

نسيان البعض لنعمة قابليّته للوصول إلى الكمال المطلق

إنَّ البعض عندما يردون عالم المادة يتوقّفون فيه.إنَّ أكثر الناس ينسون ما جعله اللَه فيهم، وينسون أيّة قابليّة منحهم اللَه، فينسون كلّ ذلك، ويشتغلون بأشياء تستطيع الحيوانات أن

تشتغل بها أيضاً ولكن بشكل آخر. إنَّ الإنسان ينشغل ببناء البيت ويبني العمارات ليعيش فيها، هذا في الوقت الذي يبني فيه الحيوان عشًّا له، ويبني النمل بيوتًا له تحت الأرض، فما هو الفرق بين الحالتين؟ فكلّها تبني بيوتًا بقصد أن تعيش فيها.

قصّة سلمان الفارسي والتحرّر من أسر الدنيا

عندما أصبح سلمان حاكمًا للمدائن، استدعى بنّاءً ليبني له بيتًا، فسأله البنّاء عن مواصفات البيت الذي يريده، فقال له سلمان: أريد أن يكون طول البيت بالشكل الذي يكون فيه نصف رجلي خارجه، فقال البنّاء: إنَّ ما تقوله سيجعل الناس تهزأ بي؟ قال سلمان: إن لم تبنِ لي بيتًا بهذه المواصفات، فانصرف؛ فأنا أريد بيتًا يكون ارتفاعُ سقفه بحيث لا يرتطم رأسي به، وعندما أنام تكون نصف رجلي خارجَه، فلا حاجة لي بما هو أكثرُ من هذا، إذ إنَّني سوف لن أعيش فيه كثيرًا. كان هذا هو سلمانَ المعيّنَ حاكمًا من قبل أمير المؤمنين على المدائن[1]. أمّا بالنسبة إلى المكان الذي يقضي فيه بين الناس، فقد اتّخذ من شجرةٍ مكانًا لهذا الغرض، فوضع تحتها صخرة يجلس عليها، وقال: من يريد أن يتقاضى، فليأتِ إلى هنا، بعكس ما يفعله غيره من الحكّام الذين يجعلون من دار الإمارة ومن القصور مكانًا لذلك، فكان يقول: إن كان الهدف هو القضاءَ والحكمَ بين الناس، فيمكن أن يتمّ ذلك تحت هذه الشجرة، فمن كانت لديه دعوى أو مرافعة، فليأتِ إلى هنا.

قصّة السيّد المدرّس في سفره إلى تركيا وسرّ شجاعته

يُحكى بأنَّ المدرّس قد ذهب إلى تركيا على ما يبدو من أجل أن يقوم بتوقيع اتّفاقية هناك، فأخذ معه الوثائق الخاصّة بالبلد، ووضعها في الإزار الخاص بالاستحمام، وعندما حان وقتُ استعراض الوثائق، أخرج المدرّس الإزار من تحت عباءته، وبدأ بفتح الوثائق الواحدة تلو الأخرى، فتعجّبوا من عمله هذا وقالوا له: هل تجلبون الوثائق بوضعها في إزار الحمّام؟! فقال:

---

[1] إنَّ نعيّن سلمان حاكمًا على المدائن قد حصل في عهد عمر، غير أنَّ سلمان ن لم يقبل بهذا المنصب حتى حصل على موافقة مولاه أمير المؤمنين عليه السلام.[المترجم]

إن كنتم تريدون وثيقة، فهذه هي الوثيقة، وإن كنتم تريدون جلدًا، فسأجلب لكم عددًا من جلود الأغنام والبقر.إنَّ هذا الرجل هو رجل حرّ، نعم، لقد كان المدرّس رجلًا حرّاً.

قيل له مرّة: كيف تكون شجاعًا إلى هذا الحدّ؟ ولماذا تقول كلّ ما تريد أن تقوله؟ لماذا لا تخاف من رضا شاه وأمثاله، فأجابهم بلهجة أصفهانيّة وقال: ليس لي مالٌ أخاف أن يأتي لصٌّ فيسرقه، هذا أولًا، كما أنَّ لي بطنًا يمكن أن تشبعَ بقرص خبز ولبن خاثر، ثمّ إنَّ الموت والحياة هما بيد الله، أليس كذلك؟!

إنَّ من هو مثل المدرّس وعلى شاكلته هو من يستطيع أن ينفع الأمّة، فهل لاحظتم؟! وهل ترون كم يكون التفاوت بين هذا الطريق وذاك؟ إنَّ المدرّس هو الذي يستطيع أن ينفع الأمّة، على أنَّ دخول المدرّس للمجلس كان للّه، وكان عمله وإخلاصه وكلّ ما كان يفعله من أجل كسب رضا الله.نعم، هكذا هو الأمر، وهكذا قال سلمان، فقد قال: إن كان الهدف هو القضاء والحكومة، فيمكن أن يتمّ هذا الأمر في مثل هكذا مكان أيضاً.

شبه الإنسان الذي لا يلتفت إلى قابليّاته بالحيوان

إنَّ الإنسان وعندما يريد أن يأكل، فبإمكانه أن يأكل أيّ نوع من الطعام يرغب فيه، وكذا الحال بالنسبة إلى الحيوان، فهو يصطاد فريسته، فما هو الفرق بين الحالتين؟ يُقال بأنَّ الحيوان المفترس من أمثال الأسد أو النمرعندما يريد أن يصطاد فريسةً من مجموعة من الحيوانات حالة تنقّلها، فهو يختار لنفسه المريضة منها والمتخلّفة عن المجموعة، فيصطادها.فإن كان الموضوع يُبنى على هذا الأساس؛ ومتى ما وجد أحدُنا شخصًا مظلومًا ولا حيلة له، فيستخدم نفوذه هنا ويظلمه، فسيصبح الأمر هنا مثل تلك القضية، فما هو الفرق بين الحالتين؟ كانت حكومة أمير المؤمنين عليه السلام هي تلك الحكومة التي تنتصر للمظلوم.

إنَّ الأذكياء لا ينشغلون بوجهة أسفل سافلين، بل تراهم وبدلًا عن ذلك يبحثون عمّا أودعه الله في نفوسهم من أسرار ويسعون للكشف عنها، ولكشف سرّ افتخار الله بنفسه عندما

خلَقَنا وجعلنا أفضل مخلوقاته، فقال: ﴿فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾[1]، ذلك الكلام الذي لم يقله حتّى بحقّ الصور النورية والأنوار الجلاليّة والجماليّة ولا حتّى بحقّ الملائكة والعقول والنفوس القدسيّة.

لماذا أمر الله بالصلاة في خمسة أوقات متفرّقة؟

ولهذا السبب ولكي يتمكّن الإنسان من أن يخلّص نفسه من مرتبة المادة التي هو فيها، ويرتقي بها إلى مراتب الصور الواقعيّة والحقيقيّة، ويجعلها تتجلّى فيه، نرى اللَه قد أوصاه بالعمل بعدّة أمور، فقال له عليك أن تعمل هذا العمل وذاك، فعلينا أن نعرف الآن لماذا أمر اللَه الإنسان بالصلاة في خمسة أوقات في اليوم؟ فقد كان بإمكانه أن يقول له صلّ هذه السبعة عشر ركعة التي أمرتك بصلاتها في الصباح الباكر وانته منها، وكنْ مرتاحًا منها إلى صباح اليوم التالي.إنَّ الأمر ليس بهذا النحو، بل إنَّ لصلاة الصبح وللنافلة حسابَها الخاصّ بها، ثمّ يجب عليك أيّها الإنسان أن تصلّي مرّة أخرى عند وقت الظهر؛ لكونك قد انشغلت بالكلام مع الناس في الفترة الواقعة بين الصبح والظهر؛ فتحدّثت معهم وطرأت على ذهنك أفكار وتخيّلات، فأبعدتك هذه الأمور عن اللَه بعض الشيء، فيأتيك هنا تحذير وتنبيه يقول لك عد إلى رشدك؛ فلا ينبغي لك أن تتوقّف هنا، بل عليك أن تتوجّه إلى هناك.[عندما يأتي نداء:] حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة؛ فهذا يعني أنَّه قد حان وقت الصلاة؛ فتصلّي صلاة الظهر، ثمّ يحلّ بعدها بساعتين ونصف موعد صلاة العصر، ثمّ يصبر الإنسان مدةً، لتغرب الشمس ويحلَّ موعدُ الصلاة، وبعدها بساعة ونصف يحلّ موعد صلاة العشاء، ثمّ يأتي موعد صلاة الليل بعد منتصف الليل.

كيف كان النبيّ يصلّي صلاة الليل ؟

أتعلمون كيف كان النبي يصلّي صلاة الليل؟ إنَّه كان يُقسّمها إلى ثلاثة أقسام؛ فكان يصلّي في القسم الأول منها أربع ركعات، ثمّ كان ينام قليلًا وينهض ليصلّي أربع ركعات أخرى، وفي

[1] سورة المؤمنون (٢٣)، جزء من الآية ١٤.

القسم الثالث كان يصلّي الثلاث ركعات المتبقيّة وكان يوصلها بصلاة الصبح. إنَّ هذا يعني أنَّ الإنسان يبقى مشغولًا بالصلاة على مدار الأربعة والعشرين ساعة من اليوم.

فلننظر إلى أنفسنا الآن ولنر ما هو مقدار اهتمامنا بالصلاة؟ إنَّنا نؤدّيها باعتبارها مجرّدَ عمل تعبّدي نجبر أنفسنا عليه إجبارًا، فنقوم لأجل أن نؤدّي هذا الواجب وينتهي الأمر. إنَّ مثل هكذا صلاة سوف لن تصل. إنَّ اللَه جعل هذه العبادة بطريقة تمكّنه فيها ومع قيامه ببقية الأعمال من قبيل: الإيثار والسخاء والإنفاق والاستغفار والتوبة، تمكّنه من الوصول، فإن لم يصل ومع إتيانه بكلّ هذه الأعمال، فسيكون هذا هو موضع تعجّب.

سعة رحمة الله في كلام الإمام السجّاد عليه السلام

كان الإمام السجّاد عليه السلام جالسًا في المسجد الحرام يومًا، فجاءه عددٌ من أصحابه وقالوا: كنَّا قبل قليل جالسين عند الحسن البصري أو سفيان الثوري ـ أحد هذين الاثنين ـ وكان يحدّث الناس، فقال الإمام (عليه السلام): **«ماذا كان يقول؟ قالوا: كان يقول: ليس العجب أن لا يدخل الإنسان جهنّم مع كلّ ما يأتي به من ذنوب، بل إنَّ العجب يتمثّل في دخول الناس الجنّة، فقال الإمام: لقد أخطأ، بل الصحيح هو: ليس العجب في دخول الناس الجنّة، بل العجب في أن يدخل أحدهم جهنّم مع كلّ هذه الرحمة الواسعة للَه»**.[1]

إنَّ الموضوع الذي طرحه ذلك الرجل كان على عكس واقع الأمر، والإمام يريد أن يقول: إنَّ رحمة اللَه واسعةٌ بشكل كبير، وأبواب الإجابة مفتوحةٌ للورود فيها بشكل واسع، وهذا الكلام هو شبيه بكلام رسول اللَه الذي قاله قبل حلول شهر رمضان عندما قال: **«فَإِنَّ الشَّقِي مَنْ حُرِمَ غُفْرَانَ اللَه فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ»**، أي: إنَّ الشقيّ هو ذلك الشخص الذي لم يتمكّن من كسب رضا اللَه في هذا الشهر العظيم؛ فيجب أن يكون مثل هذا على درجة من الشقاء بشكل يبعث على التعجّب. إنَّ رحمة اللَه هي من السعة بحيث تشمل الجميع، فكم يكون أحدهم

---

[1] البحار: ٧٨ / ١٥٣ / ١٧: قال الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلام لَمّا سَمِعَ قَولَ الحَسَنِ البَصريِّ: **«لَيسَ العَجَبُ مِمَّن هَلَكَ كيفَ هَلَكَ، و إنّما العَجَبُ مِمَّن نَجا كيفَ نَجا: أنا أقولُ: لَيسَ العَجَبُ مِمَّن نَجا كيفَ نَجا، و أمّا العَجَبُ مِمَّن هَلَكَ كيفَ هَلَكَ مَع سَعَةِ رَحمَةِ اللَّهِ ؟!»**

على درجة من الشقاء والبُعد عن الرحمة بحيث يحاولون أن يسحبوه بالقوة لكي يدخل الجنة، وهو يهرب منهم، فيجب أن يكون مثل هكذا شخص شقيّاً حقّاً.

نماذج من تضييع فرصة الاستفادة من نزول الرحمة الإلهيّة

حكاية حول اهتمام أحد المسؤولين بالدنيا عند دخوله الكعبة

نقل أحدهم هذه الحكاية فقال: عادة ما يفتحون باب بيت اللَه في أحد أيام شهر ذي الحجة، فيدخل عدد من المسؤولين من السعودية وغيرها من البلدان؛ من الضيوف السياسيّين، فيبدؤون بغسل الكعبة.قال الشخص: لقد دعوا عدداً من الإيرانيّين للدخول في إحدى المرات.

ما هي الصورة المرتسمة في أذهاننا عن الكعبة؟ نعم، ما هو تصوّرنا عن الكعبة؟ لا بدَّ وأنَّه هو المكان الذي جعله اللَه حرمًا وبيتًا له، وأمر الناس بأن يأتوا ويطوفوا حوله من أجل أن تُغفر ذنوبهم، وهو المكان الذي وُلد فيه أميرُ المؤمنين؛ إذن فأقدسُ مكانٍ في العالم هو الكعبة؛ فقد أمر اللَه الأنبياء وحتى الأئمة بالطواف حول الكعبة.ففي مثل هكذا فرصة وعندما فتحوا باب الكعبة ودخلوا فيها، التفت هذا المسؤول الإيراني إلى أحد الأشخاص [الموجودين معه] وقال له: عندما تأتي إلى طهران، فتعال إليّ لكي نتكلّم بشأن المعاملة الفلانيّة! أفي داخل الكعبة يجب أن يحصل مثل هذا الشيء؟! أتعلمون ما الذي يعنيه هذا؟ إنَّ هذا هو ما عناه النبيّ عندما قال: **«إنَّ الشقي من حُرِم غفران اللَه في هذا الشهر العظيم!»**

قصّة حول تغيّر حال الشاه عند دخوله الكعبة المشرّفة

هل تريدون أن أنقل لكم حكايةً أخرى سمعتها عن المرحوم العلاّمة؟ [سأنقلها لكم ولكن] لا تتعجّبوا منها.قال المرحوم العلاّمة رضوان اللَه عليه: كان لي صديق باسم المهندس الزاهدي وهو أستاذ جامعي ـ وكنت قد رأيت هذا الشخص ـ وقد انتقل إلى رحمة اللَه قبل المرحوم العلاّمة بمدّة؛ كان الرجل يحضر إلى مسجد القائم حيث يؤدّي صلواته فيه، كما وكان

يحضر بعض المجالس.نقل المهندس الزاهدي هذه الحكاية عن الدكتور السيد حسين نصر الذي يعيش الآن في أمريكا، وكان عضوًا في بعض المؤسسات التابعة للقصر الملكي.كان هذا الرجل متعلّمًا وفاضلًا وعالمًا ومشتغلًا بالفلسفة والعرفان كثيرًا، وكان يتردّد على المرحوم العلاّمة الطباطبائي.

إنَّ ناقل هذه الحكاية هو الدكتور نصر، قال: في السفر الذي حجّ فيه شاه إيران.ولقد قاموا بعدها بتوزيع صوره وهو في لباس الإحرام ووضعها في المساجد، وأتذكّر كيف أنَّهم قد جلبوا إحدى هذه الصور إلى المسجد الذي يصلّي فيه المرحوم العلاّمة، وبالطبع فقد كان يحصل مثل هذا الأمر بالإجبار، فبقيت الصورة في المسجد مدّة، ثمّ أمر المرحوم العلاّمة برفعها ووضعها في غرفة خادم المسجد.

قال الدكتور نصر: في تلك السنة التي ذهب فيها الشاه إلى الحج والذي كان في عهد الملك فيصل على ما يبدو، ولقد تشرّفنا مع المرحوم العلاّمة في نفس هذا الوقت بالذهاب إلى الحجّ أيضاً.يقول الدكتور: بعد أن انتهينا من أداء أعمال العمرة، وفي اليوم الثامن أو السابع من شهر ذي الحجة، قاموا بفتح باب الكعبة وسمحوا لعدد من أفراد الهيئة الإيرانيّة بالدخول، وكانوا قد أخذوا معهم ماء الورد من إيران من أجل غسل الكعبة على ما يبدو، قال: دخلنا الكعبة بمعيّة الشاه وبقيّة الأفراد؛ واشتغل الموجودون بغسل الكعبة بمن فيهم الشاه نفسه، وقد أمسكت مكنسةً بيدي، وإذا بحال جميع المتواجدين هناك يتغيّر فجأة، وسمعنا صوت البكاء يرتفع، فوضعنا المكانس جانبًا، وأخذ كلّ واحدٍ منّا زاوية له وأخذنا بالبكاء.لقد حصل تغيّر عجيب في حالنا وبالشكل الذي فقد أحدنا الشعور بنفسه.والعجيب في الأمر هو أنَّ من تغيّر حاله أكثر من الجميع؛ فأخذت الدموع تنهمر من عينيه، وكان يضرب رأسه بجدار الكعبة من دون إرادة، هو محمد رضا شاه، فكان حاله أشدّ من الجميع.

ما الذي يعنيه هذا الأمر؟ إنَّ هذا يعني بأنَّ رحمة الله إن جاءت، فهي لا تفرّق بين إنسان وآخر.ونرى هنا وفي مثل هكذا حال كيف يلتفت ذلك الرجل إلى آخر ويقول له: لا تنس أن تأتي إلى طهران لكي نتباحث حول موضوع المعاملة كذا! غير أنَّ الكلام في هذا وهوأنَّنا لا

نعرف قدر هذا الأمر؛ فيا جناب الشاه، فأنت وعندما حدث لك مثل ذلك الحال، فكيف تنسى بعد ذلك؟ ولماذا عندما تعود إلى بلادك، تستمرّ في ممارسة الظلم؟! وتعود إلى طغيانك؟! إنَّ هذه عبارة عن رسائل يريد اللَه أن يوصلها إلينا، فهو يقول: لا فرق عندي بين شخص وآخر، ورحمتي تشمل الجميع.غير أنَّنا نحن الذين نُبعد أنفسنا عن رحمة اللَه، ونحن الذين ننسى، نعم، نحن الذين ننسى نِعم اللَه.أليس كذلك؟ فنُمضي أعمارنا في الغفلة، ونُعاود الظلم مرّة أخرى، وننسى نِعم اللَه من جديد، ونعود إلى ممارسة المعصية، حتى يصل بنا الحال إلى الإقدام على قتل الناس؛ فنمارس القتل والهجوم على الناس والتعدّي عليهم.وإلّا، فلو أنَّ ذلك الرجل كان قد حافظ على ما حصل عليه من حال وتاب، فلعلّه كان سيتحول إلى رجل صالح، غير أنَّه كان قد كفر النعمة؛ وكفران النعمة هو الذي يجعل اللَه يسلّط على الإنسان ما يسلّطه.

إنَّ مثل هذا الأمر يشملنا جميعًا؛ أي إنَّ الرحمة والنعمة تشملنا جميعًا، ولقد حصل لكل واحد منَّا الكثير من مثل هذه الموارد في حياته، غير أنَّ الكلام في أنّنا نهمل الموضوع ونَعبُر عنه ولا نُعيره اهتمامًا: ﴿وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]، أي: إنَّ رحمة اللَه تغلب وتهيمن على كلّ شيء.إنَّ هذه المطالب التي تكلمت عنها هي بمثابة المقدّمة للموضوع الذي أريد أن أتحدّث عنه.

أهمّيّة شهر ذي القعدة والعشر الأوائل من ذي الحجّة على صعيد السير والسلوك

إنَّ الشهر الذي نحن فيه هو شهر ذي القعدة، وهو الشهر الذي حصلت فيه أربعين النبي موسى: ﴿وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ﴾[2]، وذلك عندما جاء موسى إلى جبل الطور؛ فهذه الثلاثين ليلة هي عبارة عن ليالي شهر ذي القعدة الذي نحن فيه الآن، والذي يُستحبّ فيه الصيام كثيرًا، ويُستحبّ الذكر فيه كثيرًا؛ حيث يُستحبّ الإتيان بالأذكار التوحيدية

[1] سورة الأعراف (٩٥)، جزء من الآية ١٥٦.

[2] سورة الأعراف (٩٥)، جزء من الآية ١٤٢.

التي جاءت في أربعين موسى.﴿وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ﴾ ثمّ أضفنا لها عشرة أيام لكي تكتمل أربعين النبيّ موسى.إنَّ هذه العشرة أيام هي العشرة الأولى من شهر ذي الحجة.

أهمّ الأعمال في عشرة ذي الحجّة

كان المرحوم العلاّمة يؤكّد على العشرة الأولى من شهر ذي الحجة تأكيدًا كبيرًا، والصيام فيها مستحبّ جدًا؛ والحالات التي تحصل للعظماء في عشرة ذي الحجّة هذه هي حالات غريبة جدًّا.إنَّ الأذكار التوحيديّة والتهليلات العشر التي نزلت على موسى، والتي جاء فيها: **«لا إلهَ إلَّا اللهُ عَدَدَ اللَّيالي وَالدُّهُورِ؛ لا إلهَ إلَّا اللهُ عَدَدَ أمْواجِ الْبُحُورِ؛ ...لا إلهَ إلَّا اللهُ فِي اللَّيلِ إذا عَسْعَسَ، وَالصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ»**، إنَّ هذه الأذكار التوحيديّة قد نزلت على قلب النبي موسى في عشرة ذي الحجّة هذه، وقد أشار إليها المرحوم العلاّمة في كتبه.

علينا أن نهتمّ كثيرًا بقيمة هذه الأيام التي نعيشها ونعرف قدرها، وخاصّة عشرة ذي الحجة؛ فما حصل من فتحٍ للباب للكثير من العظماء فقد حصل في هذه العشرة؛ لذا علينا أن نهتمّ أكثرَ بموضوع المراقبة والإتيان بالأذكار وبرعاية الموازين والمسائل السلوكيّة، وأن لا يُنسى موضوع التوسّل بسيّد الشهداء وزيارته في ليلة عرفة وقراءة دعاء سيّد الشهداء في يوم عرفة؛ ذلك الدعاء الذي قرأه الإمام والذي جاء فيه: **«الْحَمْدُ للهِ الَّذي لَيسَ لِقَضآئِهِ دافِعٌ وَلا لِعَطائِهِ مانِعٌ وَلا كَصُنْعِهِ صُنْعُ صانِعٍ ...»** فلا بدَّ من قراءة هذا الدعاء بعد ظهر يوم عرفة، نعم، لا بدَّ من قراءة هذا الدعاء.

عليكم أن تعرفوا هذه الحقيقة وهي: وفقًا للرواية المروية عن الإمام الصادق عليه السلام فإنَّ اللهَ ينظر إلى زوار سيّد الشهداء في يوم عرفة أولًا، ثمّ ينظر بعدها إلى حجّاج بيته[1]؛ أي إنَّ زائر الإمام الحسين ـ وإن كانت زيارته تحصل من مكانٍ بعيد فلا فرق في ذلك ـ إنَّ هذا الزائر هو أقربُ إلى اللهِ وسيصل إلى تلك المرتبة قبل أولئك الحجّاج.على أية حال، فنحن نأمل أن

[1] وسائل الشيعة (آل البيت)، ج ١٤، ص ٤٦٢: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«قلت له: إن الله يبدأ بالنظر إلى زوار الحسين عليه السلام عشية عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف؟ فقال: نعم...»**

نستفيض أكثر بتوفيق من اللَه من الفيض النازل في هذا الشهر، وأن لا نُضيّع الفرص التي وهبها اللَه لنا في كلّ مجالٍ من المجالات.

لاحظوا كيف كان لشهر رجب تلك الخصوصية، ثمّ يأتي بعده شهرُ شعبان ويكون بشكل آخر، ثم شهر رمضان الذي يكون فيه الفيض والرحمة بشكل واسع، ثمّ تحلّ أربعون موسى في شهري ذي القعدة وذي الحجّة، ثمّ ستأتي أيام محرّم، حيث ستتجلّى إحاطة النفس الملكوتيّة لسيّد الشهداء وسيطرتهُا، وهكذا تأتي مناسبات مختلفة، فعلينا أن لا نتجاوز هذه المواطن المختلفة التي أوجدها اللَه لنا، نعم، علينا أن لا نتجاوزها من دون مبالاة، كما علينا أن لا نضيّعها.

سأكون وبمشيئة اللَه وفي أي مكان حللت من الداعين للأحبّة والأعزاء والأصدقاء الكرام، وأرجو منهم أن لا ينسونا من دعائهم، فوفقًا لرواية فإنَّ دعاء المؤمن لأخيه المؤمن أو أخته المؤمنة يكون أسرع للاستجابة من دعاء الشخص لنفسه[1].

اللّهمّ صلِّ على محمّد وآلِ محمّد.

توضيح حول بعض ما جرى قبل وفاة المرحوم العلاّمة وبعدها وأسباب تأسيس جلسة عنوان البصري

[يبدو بأنَّ إحدى النساء تسأل سماحة السيد عن طبيعة هذه الجلسات وعن إمكانية حضور النساء لمجلس عنوان البصري، فيُجيبها سماحته قائلًا:]

إنَّ الموضوع الذي سألتم عنه لا يعتبر درسًا من الدروس.

---

[1] الكافي، ج ٢، ص٥٠٧، ح٤: الإمام الباقر (عليه السلام): «أسرع الدعاء نجحا للإجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب، يبدأ بالدعاء لأخيه فيقول له ملك موكل به: آمين ولك مثلاه».

وعنه (عليه السلام): «أوشك دعوة وأسرع إجابة دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب».

وبما أنَّ هذا السؤال قد حصل، فسأقوم بتقديم توضيح عن هذا الموضوع لكثرة ما يتمّ السؤال عنه؛ فسأقدّم توضيحًا إجماليًّا عن مجلس عنوان البصري.

اضطررت في زمان المرحوم العلاّمة وبسبب بعض الأحداث التي وقعت، إلى الاعتزال بعض الشيء عن التدخل فيما يحدث من أمور؛ أي: إنَّني رأيت في ذلك الوقت بأنَّ بعض الأحداث في طريقها إلى الحصول، وكان لا بدَّ لي من التصدّي لها ما لم أعتزل التدخّل بعض الشيء؛ ولهذا السبب فقد اعتزلت شيئًا ما بما يقارب السنة قبل ارتحال المرحوم العلاّمة؛ فكنت قليلًا ما أتحدّث في المجالس، وإن سألني أحد عن مسألة فقهية، كنت أسكت ولا أجيبه.وعلى أيّة حال فقد احتطت للأمر قبل وقوعه لكي أحدّ من نفوذ الشيطان في التدخّل والتصرّف وإيجاد الفتنة والفوضى، وقد وُفقت في ذلك بحمد اللَه.

جاءني مجموعة من الأصدقاء وقالوا: لا يمكن أن تجري الأمور على هذا المنوال؛ فلدينا أسئلة، وتطرأ علينا إشكالات، فلا يمكن أن يستمرّ الأمر على هذا الحال، فإن كان بالإمكان أن تقيم لنا مجلسًا في ليالي الخميس ومن دون أن يعرف بذلك أحد؛ فيتمّ طرح الأسئلة المتعلّقة بالعرفان والسلوك وليكن لدينا مجلس أُنس، فوافقت على هذا المقترح؛ فكان يحضر في ليالي الخميس بحدود العشرة أو الاثني عشر شخصًا من الرفقاء والأصدقاء الموجودين في قم؛ فكان يتمّ طرح سؤال، ثمّ أقوم بالتحدّث حول موضوع السؤال، وكان مجلسًا جيدًا بشكل عام.استمرّ هذا الأمر حتى وفاة المرحوم العلاّمة، فتوقّف هذا المجلس عن الانعقاد بشكل مؤقت.وبعد مضي بعض الوقت وبواسطة تلك الأحداث التي وقعت والتي سمع عنها الأصدقاء الكرام بشكلٍ أو بآخر، شعرت بأنَّ مباني مدرسة المرحوم العلاّمة آخذة في الانحراف؛ فهي أخذت بالابتعاد عن المرتبة التي هي فيها، وحصل خلط بين الصحيح والسقيم من الأمور، وحصل خلط بين الإتقان والادّعاء، وحصل مزج وتركيب بين العقل والتعبدّ وبين التخيلات والتصوّرات، وأخذت المنامات والمكاشفات التي قد تكون شيطانيّة، وكذلك المسائل التي لا أساس لها، وكلّ حديث تافه وكلام غير متقن، أخذ يحلّ محلّ تلك المباني الأصيلة والموازين السلوكيّة المتقنة.فلم أتمكّن من الصبر على ذلك والاعتزال بعد ما حصل ولم أستطع أن أبقى

في موقف المتفرّج على ما يحصل؛ فها هي المباني التي كان المرحوم العلاّمة يتبنّاها تنحرف عن مسارها الأصلي، وأصبح كلّ إنسان يقبل ما يوافق ذوقه الشخصي، ويتبع أيّ إنسان وإن كان يفعل ما يفعل، وإن كان ذا فساد أخلاقي، وأخذ أولئك [المتصدّون] يطردون من محفلهم كلّ من يخالفهم في مبانيهم، ويقطعون العلاقة معه ويمنعون معاشرته ويتّهمونه بأنواع التهم، ويلصقون به أي نوع من الملصقات غير الملائمة لمجرد عدم قبوله لنظامهم.لم أتمكن من أن أسكت عمّا يجري ولم أقدر أن أتحمّله، لذا فقد قمت بالتصدّي له، ووقفت بوجه ما يحصل بكلّ شدّة، حتى أصبحت مشمولًا بنفس القانون والقاعدة الجارية؛ فألصقوا بي أنواع التهم، ووصل بي الأمر إلى الحدّ الذي وعندما سافرت إلى هناك، وجدت بأنَّهم يتكلمون عنّي ببعض الكلام الذي كان الكثير من الأشخاص ـ وللعجب ـ يقبلونه بكلّ سهولة، حتّى أنَّ بعض الأصدقاء قالوا لي: إنَّهم يتكلّمون عنك ببعض المواضيع وكأنَّك لست من أبناء السيّد العلاّمة.

أهمّ مواضيع جلسات عنوان البصريّ

كلّ ذلك لم يكن مهمّاً لي، بل ما هو مهمّ لي هو أن لا يتمّ تخطّي الموازين التي كان المرحوم العلاّمة يتبنّاها، وهذا ما كنت أركّز عليه.لقد وصل الأمر إلى أوجه، فشعرت بأن لا وسيلة لي سوى أن أقوم ببيان بعض المباني الأصوليّة والعرفانية التي اكتسبتها من المرحوم العلاّمة عِلمًا وتجربةً؛ أي: أن أقوم ببيان المباني الأصيلة؛ فأبيّن ما هو العرفان؟ ومن هو العارف؟ ومن هو الوليّ؟ والوصيّ؟ وما هو دور المنام والمكاشفة في طريق السلوك؟ وكيف يتعامل السالك مع المنامات الشيطانيّة والرحمانية؟ وكيف يجب على السالك أن يتصرّف؟ فهل يمكن له أن يعمل بأيّ خطور أو تصوّر يحصل له؟ وما هو ميزان طاعة السالك للأستاذ؟ وعلى مَنْ يُطلق لفظ الأستاذ؟ وهل يكون الأستاذ واجب الاتّباع بشكل مطلق أم بشكل مقيّد وبحدود خاصة؟ كانت تلك هي المسائل التي كان لا بدَّ لي من بيانها، والتي لم تكن تروق للكثيرين منهم بالطبع.

لذا فقد اقترح بعض الأصدقاء أن تقام مجالس شبيهة بمجالس ليالي الجمعة التي كانت تُقام في زمان المرحوم العلاّمة من أجل بيان تلك المطالب، فقد كان المرحوم العلاّمة يتحدّث في بعض الأحيان في حياته، كما كان يتحدّث في جلسات عصر الجمعة إلى أولئك الذين كانوا

يأتون من أماكن متفرقة فقال لي الأصدقاء: ولكن أنت لا تتكلّم، ولا يمكن أن يمضي الأمر بهذا الشكل، وكنت أمرّر الموضوع بالمماطلة ولم أكن أستجيب لهم بل كنت أتأنّى وأتأمّل في الموضوع لما كنت أشعر به من إمكانية إيجاد مثل هكذا قضية حساسيّةً ما، حتى وصل الضغط عليَّ حدّاً جعلني أصلّي صلاة الاستخارة، وأستخير اللَه، فكانت نتيجة الاستخارة جيّدة جدّاً، فبدأت بإقامة المجلس بحضور عدد قليل من الأصدقاء السابقين للمرحوم العلاّمة ومن تعرّفت عليه بعد زمانه، وكان المجلس مجلسًا صغيرًا.على أنَّني أقول للأصدقاء بأنَّ هذا المجلس ليس بالمجلس الذي يحمل عنوانًا خاصًا ولا هو مختصّ بمن تكون له منزلة معينة، بل إنَّ من يحضره يكون في نفس مستوى الآخرين، فلا يعطيهم هذا الحضور ميزة أو علوّ درجة على غيرهم، نعم لا طريق لمثل هكذا ألاعيب إلى هذه المدرسة.

إنَّ الأمر الوحيد الذي يحول دون حضور الجميع للمجلس هو عدم وجود الإمكانات التي تسمح بحصول مثل هذا الشيء، وإلّا فإن ارتفعت هذه المشكلة، فلا مانع منه.فخذوا مكانًا مثل هذا المنزل الذي نحن فيه على سبيل المثال، فلا توجد إمكانية أن يجلس الرجال في جزء من البيت وتجلس النساء في جزء آخر منه، فهذا مما لا سبيل لتحقيقه.لذا فقد حضر المجلس عدد محدود من الأصدقاء، وقد حصل حضور الأشخاص بشكل تلقائي، فلم يتمّ اختيار المشاركين بالاسم.إنَّ هذا هو ما أريد أن أقوله، فلا يُتصوّر بأنَّ لمن يحضر المجلس امتيازًا على غيره، كلّا، ليس الأمر بهذا الشكل، بل قد يكون الأمر على العكس، فلعل الكثير ممن لا يحضرون المجلس هم أرجح ممن يحضره بما في ذلك هذا العبد، والعديد ممن يحضر المجلس.إنَّ ما حصل فقد حصل هكذا بحسب الاتفاق والصدفة؛ فقد يكون أحدهم قد اطلع على هذا الأمر بواسطة ما، فتمكّن من الحضور، ولا يزال الأمر على حاله، فلو سمحت الظروف بحضور الجميع للمجلس بما فيهم النساء، فلا مانع لديّ من ذلك أبدًا، إذ إنَّ الأمر يتعلق بعدم توفّر الإمكانات ولا غير.أما الأمر الثاني، فهو لاحتمال حصول بعض الحساسية؛ فإن انتشر هذا الأمر، فمن الممكن بالطبع أن يُستغلّ من قبل من يكون له غرض.

طبيعة ما يطرح في مجالس النساء

وأمّا فيما يتعلّق بالمسائل التي تُطرح في هذه المجالس، فهي لجميع الأصدقاء، ولا تختصّ بالحاضرين لها، فيستطيع الجميع في حالة رغبتهم في ذلك الاستماع إلى الأشرطة المسجّلة لها، وهذا هو الذي دعاني لأن أسعى إلى ذكر المواضيع التي كنت قد سمعتها من المرحوم العلاّمة في الغالب، وأن أقصر تدخلي إلّا في بعض الموارد التي تحتاج إلى توضيح؛ فلماذا لا أقوم بالتوضيح في مثل هذه الحالة؟

على أيّة حال، فهذه المجالس هي ليست مجالس خاصّة، وإن سُمّيت بالدروس، فهي تُسمّى بذلك منباب أنَّ هذه المعارف كنت قد سمعتها من المرحوم العلاّمة، ولديّ مذكرات خطيّة منقولة عنه، وهي من المواضيع التي كانت تتضمّنها خطاباته والموجودة لدى الحقير على هيئة أشرطة مسجّلة، وبشكل عام، فما كنت قد استفدته من منهجه ومبانيه، فها أنا أضعه بين أيدي المستعدين لغرض الاستفادة منه، حيث إنّ الأمر كما قال النبيّ الأكرم: «**فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيسَ بِفَقِيهٍ وَ رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْه**»؛ فلربما يعمل بعض الأشخاص كواسطة لنقل فقهٍ أو كلام ثمين أو فكر إلى من هم أكثر منهم استعدادًا لقبوله؛ ويمكنهم الاستفادة منه بشكل أفضل، فما قمت به هو من هذا الباب؛ فقلت بما أنَّني أنتسب إلى المرحوم العلاّمة؛ وهو الأمر الذي يحمّلني وظيفة ومسؤوليّة إضافية، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر، لمّا كنت سمعت منه حقائق، فلماذا أبخل في إيصالها إلى الآخرين؟ ولماذا أخون في تبليغها؟ وإلّا فاعلموا قطعًا بأنَّ ما يجري في نفسي هو أنَّني أرى نفسي أدنى من جميع الحاضرين في المجلس، وأنا أقوم فقط وفقط بدور شريط التسجيل الذي سجّل مطالب قالها المرحوم العلاّمة وها هو ينقلها للأخرين لا أكثر.ولو كان لي مجال وكانت لي الفرصة الكافية، لعملت على إقامة مثل ذلك المجلس للنساء أيضاً.

بعض برامج المحاضر والأعمال التي ينجزها

غير أنَّني أُشهد الله بأنَّني مشغول ولديّ من الأعمال إلى الدرجة التي تدعوني إلى حذف بعض المسائل الضروريّة في حياتي؛ والسبب في ذلك يعود إلى الوضع الدراسيّ الذي أعيشه، وما استلمته من مطالب ضروريّة من المرحوم العلاّمة، من تلك التي يكون عليَّ أن أطرحها بشكل علميّ وكلاسيكي، وما يُجلب لي من ملفات، فها أنا أحفظها في صندوق حتى يحين الوقت الذي أستطيع فيه فتحها والعمل عليها، فكلّ هذا لا يدع لي أيّ مجالٍ بأيّ وجه من الوجوه.

وأريد أن أقول لكنّ هذا الأمر أيضاً وهو: على الرغم من أنَّني طلبت من الأصدقاء أن يقوموا بتحرير (كتابة) مجالس عنوان البصري وإخراجها على هيئة كتاب يتمّ نشره بعد أن أصرّوا عليّ في ذلك، إلّا أنَّهم حمّلوني هذا الجهد أيضاً بالنتيجة، وقالوا: لو أنَّ هذه المطالب تخرج بقلم واحد، كان ذلك أفضل، وهذا مما زاد الطين بلّة، وها أنا الآن مشغول بتأليف كتاب عن شرح رواية عنوان البصري، والذي يتضمّن إضافة ضعفين أو ثلاثة أضعاف إلى ما يُطرح في المجالس، مع ذكر المصادر العلميّة التي تكون قابلة للعرض في أيّ مستوى كان. حيث سيكون الكتاب الأول منها جاهزًا للطباعة خلال الشهرين أو الثلاثة أشهر القادمة إن شاء الله. هذا إضافة إلى انشغالي بالمسائل الفقهيّة والمسائل المهمّة التي تواجه المجتمع اليوم، فأنا مشغول بإعداد رسائل عنها، وها هي تُطبع الآن.

فأوّل هذه المواضيع هو موضوع الارتداد، وموضوع الحرية في الإسلام، وحدود هذه الحرّية، وهو الموضوع المهمّ جدًا، والموضوع الآخر هو موضوع طهارة أو نجاسة الكفّار، وهو موضوع مهمّ جدًا أيضاً، والموضوع الأكثر أهميّة من هذا وذاك هو سنّ بلوغ الفتيات؛ ففي نظر هذا الحقير، والذي هو نفس نظر المرحوم العلاّمة وإن كان لم يُظهره، ففي نظري أنَّ بلوغ الفتيات يكون في سنّ الرابعة عشر لا سنّ التاسعة. فكما تعلمون، فلو أنَّه قد جرى طرح مثل هذه المواضيع والبحث حولها ومناقشتها من قبل سائر السادة والعلماء، فمن الممكن أن يبعث ذلك على تبديل الكثير من قوانين الدولة من الناحية الحقيقية والحقوقية. فهذه هي

المواضيع التي أعمل حاليّاً على متابعتها، وهي التي لا تدع لي مجالًا وفراغًا لكي أتمكن فيه من اللقاء بالكريمات المعظمات والاستفادة من وجودهنَّ أكثر من هذا.

ولهذا فما يريد هذا الحقير أن يقوله هو إنَّ إقامة هذا المجلس في الوقت الحاضر بهذا الشكل ليس بسبب امتياز عدّة من الأفراد على غيرهم، فلا وجود لمثل هكذا أمرٍ مطلقًا، ومتى ما سمحت الظروف لإقامة المجلس الذي يستفيد منه الجميع ـ على أنَّ استعمال كلمة استفادة قد لا يكون كلامًا مناسبًا، بل الصحيح هو أن أقول: يحضره الجميع ـ فلا مانع لديّ من ذلك. أمّا أن يتمّ إقامة مجلسين؛ وذلك بأن يكون أحدهما للنساء والآخر للرجال؛ فلا يبدو أنَّ هذا الأمر صحيحٌ في نظري؛ وذلك لأنَّ ما يتمّ التحدّث عنه هو موضوعٌ واحد، ولهذا السبب أستطيع أن أقول بأنَّ حضوري مع السيدات مرّةً كلّ شهرين، هو فرصة مغتنمة لي لكي أنتفع فيها من الأدعية الصالحة للكريمات.

أعتقد بعدم وجود الوقت الإضافي لكي أعمل فيه على إتلاف وقت الأخوات المحترمات وإزعاجهنّأكثر من هذا. [وأكرّر وأقول] إنَّ الأمر كما ذكرت، ولا وجود لأيّ تمايز وأيّ امتياز لأيّ طرف على الآخر. وعلى أقلّ تقدير ومن وجهة نظري، فلا وجود لتفاوت بين المتواجدات في هذا المجلس عمّن هنّ خارجه أبدًا.

أستأذنكنّ في الانصراف، وحفظكنّ اللَه وأيّدكنّ.